

ساعات



أشرف يحيى

7 ساعات

رواية

أشرف يحيى

نوع العمل: رواية

اسم العمل: 7 ساعات

اسم المؤلف: أشرف يحيى

الناشر: حروف منتورة للنشر الإلكتروني

الطبعة: الأولى أبريل 2016

تصميم الغلاف: مروان محمد

تدقيق لغوى: عبد الله أسامة

تفضلوا بزيارة موقعنا حروف منتورة للنشر الإلكتروني من خلال الضغط على الرابط التالي:

<http://herufmansoura2011.wix.com/ebook>

كما يمكنكم متابعتنا من خلال صفحتنا الرسمية على الفيس بوك من خلال الضغط على الرابط التالي:

<http://facebook.com/herufmansoura>

كما يمكنكم مراسلاتنا بأعمالكم على الإيميل التالي:

Herufmansoura2011@gmail.com

دار حروف منشورة هي دار نشر إلكترونية لخدمات النشر
الإلكتروني ولا تتحمل أي مسؤولية تجاه المحتوى الذي
يتحمل مسؤوليته الكاتب وحده فقط وله حق استغلاله كيفما
يشاء

(1)

التاسعة مساءً .. التجمع الخامس ..

هطلت الأمطار بشدة على الطريق السريع في تلك الليلة من منتصف يناير، منذرة بساعات طويلة من الطقس الملبد. وبدأت السيارات كأنها تفر من هذا الجو المضطرب، فلا تكاد إطاراتها تستقر على الشريط الأسفلتي من الطريق. ومن بعيد .. ظهرت الجاجوار السوداء ..

تسير بهدوء عجيب لا يتناسب مع سرعة السيارات الطائرة فوق الطريق. والأغرب أنها بدأت تبطيء شيئاً فشيئاً، حتى توقفت تماماً.

وللحظات سكن المشهد تماماً، حتى فُتح الباب من جهة السائق، وخرج منه شخص فارع الطول، نظر بعيداً تجاه نقطة ما، ثم توجه إلى غطاء المحرك ففتحه وتأمله للحظات، ثم أغلقه بهدوء وأشار إلى الشخص القابع داخل السيارة بالخروج.

مضت لحظات بدا فيها من بالداخل مترددًا، ثم مالبت أن فتح الباب متلفتًا حوله، ومحاولًا اتقاء المطر بياقة معطفه.

نظر تجاه النقطة البعيدة التي يشير إليها صاحبه، ثم تبعه مسرعًا، حيث بدت من بعيد إحدى الكومباوندات الجديدة في هذه المنطقة. وسرعان ما اختفى الاثنان، متقيان هذا الجو القارس وتلك الليلة الملبدة الشاتية.

(2)

نادر

الظلام الدامس لا يبدو منه شيء .. وصوت خطواتنا على سلم المنزل يكاد لا يُسمع وسط رخات المطر المنهمرة على الطريق منذ الثامنة.

بالكاد نتلمس خطانا حتى وصلنا الشقة. عالج شهاب قفلها لينفتح دون صوت مؤكدًا أنه ليس من ذلك الطراز المعتاد الذي يصدر صريرًا محتجًا على طول الغياب عنه.

لم يكن الحال من الداخل بأفضل منه في الخارج، فالظلام متسلل إلى الشقة بشكل لم نستطع به حتى أن نتبين زر الإضاءة. لكن المكان كان مظلمًا أكثر مما ينبغي حتى أنني

سألت في شك وبصوت مرتجف:

- هو النور قاطع ولا إيه؟

لم أتلق ردًا فكررت بصوت أوضح:

- شهاب .. النور قاطع؟

صمت.

- شهاب انت فين؟

جاوبتني ضحكة مكتومة صادرة منه فصحت فيه:

- بلاش استعباط بأه .. مالها أم الكهربي دي؟

غمر وجهي ضوء كشاف هاتفه المحمول وهو يجيب:

.. فيه إيه يا نادر؟ .. ما تصبر لما اشوف

تجولت بقعة الضوء في المكان كاشفة بعضاً من جدرانه،
لتستقر على لوحة الكهرباء الأساسية. اقترب منها وبدأ في
معالجة الأضرار كأنه يعرف ما ينبغي فعله، حتى أضيء زر
أحمر صغير في لوحة المفاتيح، فصحت مهلاً:

!! النور جه !!

- يا رااااااااااااجل!

نطقها ساخرًا واتجه إلى زر النور فأضاء أنوار الصلاة
بأكملها دفعة واحدة.

■ ■ ■

عالم آخر انتقلنا إليه مع إضاءة الأنوار التي انسابت بشكل مبدع. لم أكن أعلم أن ذلك الوغد رفيع الذوق إلى هذا الحد.

أضواء غير مباشرة انعكست على الجدران فأحالتها تحفة
جمالية رائعة. انتبهت بعد لحظات أن كل شيء مختار بعناية،
لون الأثاث .. طلاء الجدران .. الأرضية الباركية الخالية من
السجاد .. الأنثيكات .. الفوتيه .. النيش الكلاسيك .. الكرسي
الهزاز العتيق .. المنضدة الصغيرة في المنتصف .. صورة
شهاب الأنيقة التي تحتل نصف الجدار .. حتى الشاشة الـ
LCD لا تبدو مختلفة عن هذا الجو الكلاسيكي.

لا شك أنه كان يقصد هذا التناغم، لا شك فتوافق الألوان يشي
بذلك. لقد بذل هذا الوغد كثيرًا من الجهد والمال أيضًا لتبدو
هذه التحفة بذلك الجمال.

لا أدري لماذا تركها عامًا بأكمله؟ .. ليس من المعقول أن
يكون مجرد خلاف مع ريهام. كثير من الأزواج يطلقون
زوجاتهم، لكن ليس كلهم يتركون الشقة بعد الطلاق. لقد قلت
له من قبل أنه لا يستحق واحدة مثل ريهام.

ها هو يمسح يديه المتربتين بأحد المفارش. ها هو يخلع
معطفه المبلل ويرميه على الأرض بلا مبالاة هو والآيباد
الخاص به .. حقًا .. لا يستحق النعمة .. أبدًا !!

وضعت معطفي على المنضدة الصغيرة وبجواره حقيبة
الإسعافات، أقصد أقراص وحقن السكر .. لم أفارقهم منذ أن
أصبت به منذ ثلاث سنوات .. قالوا لي أن هذا المرض صديق
الإنسان لأنه قادر على التعامل معه .. لكن ما فائدة صداقته؟
.. سيظل في النهاية مرض يلزمني كل يوم .. وأخشى بسببه
دومًا تلك النوبات المفاجئة التي يتحفني بها، و ...
لفحة هواء قارس صدمت جانبي فالتفت لأجده يفتح نوافذ
الصالة

- ليه كده بس يا أخي؟!!!

- شوية فريش إير بس عشان مكتومة بقالها سنة .. باقولك
ما تعملنا نسكافيه

- نسكافيه؟!!!

- آه .. أنا لسه فاكرا ان دي تقريبا الحاجة الوحيدة اللي بتعرف
تعملها

- قولي الحمام فين الأول بس؟

رن محموله فأشاح لي بيده في أي اتجاه.

- عندك هناك .. (يرد على الموبايل) أيوه يا تمورة

- عندي هناك فين؟

- آه هنتأخر شوية بس معلى عشان عربيتي عطلت .. إحنا
ف شقة التجمع .. الله !! .. التجمع يا جدع!!

سلبتني مرة أخرى محتويات شقته فغرقت في عالمها
المسحور، والذي تزيده سحرًا تلك الأنتيكات المرشوقة بعناية
في أماكن معينة وكأنه يقصدها، التقطت واحدة منها، ما هذه
الكأبة؟! .. إنها تذكرني بوجوه أولئك الأفارقة الذين يحرقون
الضحايا أحياء ثم يأكلونهم، كما أنها ..

وفجأة لم أجدها في يدي !!

اختطفها مني وهو يتحدث إلى تامر وينظر لي شذراً.

- "لأ مش قاعدين .. إحنا كنا قريبين منها .. عيب عليك
نادر راجع م السفر وعاليز يشوفك .."

كأنى صبي عبث بمحتويات أبيه .. أل هذه الدرجة تمثل له هذه
السخافات قيمة؟!

- طيب طيب سلام

تساءلت حين أنهى مكالمته:

- أنا ماجتش هنا من ثلاث سنين .. صح؟

عدّل من وضع أحد الكراسي المقلوبة ثم أجاب بعد دهر:

- أنا فاكّر؟ .. أهه من ساعة ما انت سافرت ..

نفخ تراب يده في وجهي بوقاحة وأكمل:
- ده كويس اني لاقيت مفتاحها في العربية
- طيب .. قوللي بأه الحمام فين؟
لا .. بالتأكيد هو يمزح .. لقد فعلها ثانيةً ذلك السافل ورن
محموله مرة أخرى !! .. رقم الميكانيكي
- ألو .. أخيراً يا هيمة !!
سأفعلها واقفاً أيها النذل !!
- صباحية مباركة يا اسطى .. كنت فين ده كله؟
كالمجنون أجري في كل الاتجاهات محاولاً تذكر مكان الحمام
منذ آخر زيارة لي
- "آه من ساعة يا ريس ولا انت هنا .. بص
يا هيمة .. دلوقتي العربية"
لقد بدأ يشرح عطل السيارة وأنا على وشك أن (أرشح) في
سروالي، سأستعين بذاكرتي التي لا تسعفني أبداً .. هذا؟ ..
لا أظن .. نعم .. إنها غرفة البلياردو الذي يعشقه شهاب ..
وها هي الطاولة قابضة في المنتصف .. لا وقت .. لا وقت ..
ستحدث الفضيحة في أية لحظة!! .. السكر .. السكر .. آه ..

ها هي الذاكرة تعود .. سيكون المطبخ على اليمين .. نعم ..
فوضى كالعادة منذ تركته ريهام .. و ..

ها .. هو .. الحمااa

...

...

هناك نعم كثيرة لا نشعر بها إلا حين نفتقدها !!

...

- "طب الساعة دلوقتي عشرة وربع يا ابراهيم هاتيحي إمتا؟

.. ماينفعش والله يا ابراهيم عايزين نمشي من هنا"

أسمع صوته آتياً من الصالة وأنا مستمتع بإفراغ مئائتي ..

أليس غريباً أنني نسيت إضاءة النور؟ .. الوضع الذي كنت

فيه أنساني خوفي من الظلام.

تك !!

يالنحس هذه الليلة !! .. المصباح لا يعمل !! .. ليتني لم

أعرف !! .. جيد أنني عرفت بعد أن انتهيت وإلا ..

...

...

برق ساطع ..

يضئ أركان المكان ..

يتلوه صوت مزلزل لهزيم الرعد بالخارج خلع قلبي من مكانه

و ..

ماذا؟ .. هل رأيت شيئاً؟ ..

أظنني رأيت شيئاً .. ظهر أمامي مباشرة حين لمع البرق ..

ليس شخصاً ولكن .. شيئاً .. أظنه .. يشبه .. حبلاً .. نعم ..

أكان بالفعل حبلاً؟ .. حبل مشنقة؟! ..

* * *

"حلاوتك يا ابراهيم !! .. إحنا كده هانستنا كتير والخروجة

هاتضيع يا ابراهيم !!"

...

في شرود ألقى بنفسي على الفوتيه .. وأنظر دون وعي إليه

.. لا يزال يتحدث إلى الميكانيكي

- "طب بص المفتاح في الهواية بأه عشان مش هاتنزل في

المطرة"

...

أحاول أن أهز رأسي لأنفض عنه ما رأيته أو تخيلته ..
لم يكن حقيقة .. لم يكن حقيقة ..
أعتقد أن هذا هو وقت النسكافيه ..
- "ماشي يا هيمة .. سلام يا هيمة"
إلى المطبخ .. لأعد النسكافيه .. أريد أن تمر هذه الساعة
سريعًا ..
صوته يأتي من الصلاة بعد أن أغلق الخط:
"يخرب بيت أمك يا هيمة !!"

* * *

بخطوات أحاول فيها أن أبدو متماسكًا .. أدخل بالصينية ..
ألمح على وجهه شرودًا وهو جالس فوق الكرسي الهزاز
يتأمل الشارع من خارج الشباك .. لا شك أن ترك ريهام له
أثر عليه كثيرًا .. هذا ما يبدو واضحًا عليه منذ أن دخلنا
المكان .. لا يبدو متحمسًا للمكوث، وكذلك أنا في الحقيقة ..

شيء غريب أشعر به منذ أن دخلت الشقة .. لولا سخريته
المعتادة لطلبت منه الرحيل فورًا.

- مالك؟

يبدو أنه لاحظ شحوبي

- مفيش .. باقولك .. إنت لسه بتلعب بلياردو؟

يرشف من النسكافيه بهدوء ولا يجيب .. دائما يعتمد إثارة
أعصابي

- الله يحرقك .. إيه القرف ده؟

- آااه معلش .. حظيت لك سكر زي .. إنت عارف انا عندي
سكر ولما ..

- إنت هاتشكلي همك؟ .. إنت عندك سكر مال أمي انا؟

- خلاص هاقوم اجيبلك ..

- لا تقوم ولا تتنيل .. أنا خلاص قفلت مش شارب حاجة

- طب ماتيجي نفك شوية ونلعب بلياردو

يسحب أحد الكراسي ويضعه تحت النجفة، ويقف فوقه

بهدوء، هذا الوغد يعتمد استفزازي. يجيب بعد فترة وبلهجة

لا تخلو من "القرف":

- نلعب بلياردو فين ياخويا؟

- جوه

- جوه فين يابن التايهة؟.. التراييزة واخدها معايا الفيلا من

ساعة ما عزلت

أتسمّر مكاني للحظات .. أقوم مسرعًا تجاه الحجرة .. أضيء

نورها ..

خالية تمامًا ..

الدوار يتسلل إلى رأسي .. لا بد أن نسبة السكر فعلت في كل

هذا .. فأنا مستجد في المرض .. أمسك رأسي كأني أحاول

السيطرة عليه .. أحاول العودة متماسكًا إلى الصالة .. من

حسن حظي أنه منشغلًا بإصلاح المصباح.

- إنت كنت بترجع ولا إيه؟

لمحني .. ويسخر كالعادة

- أأأ .. مش كنا استنينا في العربية لغاية ما الميكانيكي

ييجي؟

أضاء المصباح .. فنزل من على الكرسي بهدوء ونفخ

التراب عن يديه في وجهي متعمدًا وهو يجيب:

- الدنيا مطر .. وبعدين فرصة اطمّن ع الشقة

ألقى عبارته .. والتقط محموله .. وتركني .. متجها لغرفة
مكتبه ..

لن أتحمل هذا الوغد ساعة أخرى !!

(3)

شهاب

لم أكن أتخيل أبدًا .. أن أتواجد مرة أخرى في شقتي القديمة
..

جنتي التي أسستها قطعة قطعة .. واخترت أن نعيش فيها
سويًا .. أنا وريهام ..

لم أكن أتوقع وقتها أني سأواجه واقعًا غير ما كنت أحلم.
في غرفة مكتبي .. تتواتر الذكريات مرة ثانية.

كانت أروع أوقاتي: فنجان القهوة .. الغرفة المظلمة إلا من
ضوء الأباجورة .. الكرسي الجلد الكبير .. القراءة .. والتأمل
في اللوحات التشكيلية التي تملأ جدران الغرفة، والتي
اخترتها واحدة واحدة بعناية.

بعد مرور عام كامل على ما حدث .. ترتطم بذهني الذكريات
..

لا أريد أبدًا أن أتذكرها لكنها - رغما عني - تتسلل إلى ذاكرتي.
وضعت هاتفني على المكتب وأضأت الأباجورة، فبدأت معالم
المكان.

أرفف عامرة بالكتب التي اشتريتها على مدار سنوات عمري.
كنت أعشقها وأنا صغير، ثم أدمنتها وأنا كبير .. حتى عشقت
القراءة في مجال واحد فقط: علم النفس.

ثم تركته منذ أن انتقلت إلى المعادي ولجأت إلى الروايات ..
هروبًا من الواقع !!

أجاهد بشدة هذه الذكريات القاسية .. لا أريدها أن تهزمني ..
- هو انت لسه بتقرا برضه؟

يبدو أنني كنت غارقًا في الذكريات أكثر مما ينبغي حتى أنه
دخل ولم أنتبه.

نظرت له بسخرية وأنا أجيب:

- يعني .. باحاول ابطل

التقط كتابًا بلا مبالاة من على الرف وقلب في صفحاته بلا
وعي

- بس مكتبتك كبيرة قوي

- يابني ده اللي ماعرفتش اخده معايا المعادي .. آه انت
ماشفتش المكتبة هناك

إنه يقلب في كتاب "أدler" بأطراف أصابعه، سألqn هذا
الجاهل درسًا .. أحب دائمًا أن ألعب معه لعبة الأعصاب ..
أستمتع بذلك جدًا .. وهو - رغم ذلك - لا يغضب ولا يتخلى
عني .. ربما هذا هو سبب تقاربنا .. هو يجد في الصديق
الذي يشعر بدواخله، وأنا أجد فيه الشخص الذي أفرغ فيه
نزعتي السادية. ونادر هو أكثر شخص رأيته في حياتي
يستجيب للمؤثرات النفسية السلبية أكثر من الإيجابية.

- وانت بأه لسه بتقرا في الحاجات دي؟

- الحاجات دي اسمها "علم نفس" يا حمار .. والكتاب اللي
في ايدك ده طبعة 46

نظر مرة أخرى للكتاب وكأنه يقيمه بعد المعلومة الجديدة، ثم
كرر في بلاهة:

- طبعة 46؟ .. هممم .. أيوه يعني بتستفيد إيه من قرايته؟
استطاع استفزازي دون أن يدري .. لكني لن أمنحه هذه
الفرصة .. هو لا يدري أنني منذ دخلنا الشقة وأنا أستمتع
بالعب معه رغم حالتي النفسية.

بدأتها حين وجدته خائفاً من ظلام المكان، فرغم أن النور لم يكن به أي عطل، إلا أنني تظاهرت بذلك.

وفعلتها ثانية حين سألتني عن الحمام، رغم علمي باحتياجه الشديد له لظروف مرضه إلا أنني لم أقاوم رغبتي.

أخذت أعدّل من وضع بعض الكتب على الرف لأعيد لأعصابي تماسكها، ثم أجبت في هدوء:

- باستفيد .. إني اعرف اشتغل واحد زيك

ضحك باستهزاء فبادرته بثقة دون أن أمهله:

- فاكروني باهزر مش كده؟ .. لعلمك بأه .. انت أكثر

واحد ممكن اشتغله

- ليه بأه ان شاء الله؟

بدأت أستعيد ناصية الأمور.

- يابني انت كلك ثغرات نفسية

- ثغرات نفسية؟! .. ماشي يا عم

هزيمة جزئية .. انتظر مني الكبيرة أيها الجاهل عقاباً على

كتاب "أدلى".

تقدم إلى المكتب وهو ينظر لصورتَي الموضوعتين فوقه.

- يعني من ساعة ما دخلت مالاقيتش ولا صورة ليك مع ريهام!

توقفت عما كنت أفعله .. نظرت إلى الأرض وأنا أقبض على السلسلة في رقبتى بتوتر .. إنه ينكأ جرحاً لم يندمل. لا بد أن أجيب وإلا سيشعر بي.

- .. مابحبش الذكريات

- لدرجة انك تسبب الشقة كلها؟

يا لهذه الليلة !! .. أريد أن أغادر هذا المكان. ما الذي جعلني أدعو هذا السفينه للخروج؟

لم أجب هذه المرة، وتظاهرت بإعادة الكتب التي على المكتب فأردف متسائلاً:

- هي من ساعة ما زعلت وهي مسافرة عند باباها؟

توقفت يداي .. وتوقف عقلي عن التفكير .. وركزت نظري على أحد الكتب .. لا أستطيع الكلام.

أنقذني محمولي الذي ظهرت على شاشته "لمار"

- مش دي لمار زميلتنا؟

إنه يتجاوز أسواراً عديدة الليلة، أقسم أن أعاقبه على ذلك !!
اختطفت المحمول وخرجت من المكتب مسرعاً.

"ألو .. أيوه يا لمار"
أقسم أن أعاقبه !!

(4)

نادر

لماذا فزع بهذا الشكل حين اتصلت "لمار"؟ .. ولماذا تتصل به من الأساس؟ .. هل بينهما شيء ما؟ .. أمن المعقول أن يكون معه إنسانة مثل "ريهام" ويتعلق بمثل "لمار"؟
ثم لماذا يتهرب دومًا كلما سألته عن ريهام ولجين؟ .. لا بد أنه ..

...

هل .. هل يجلس في الصالة؟ .. أسمع صوتًا يأتي من الخارج ..

لقد رأيته يتجه نحو الشرفة .. لماذا إذن أسمع صوت الكرسي الهزاز بالخارج؟ ..

لماذا تركني وخرج؟ .. كان من الممكن أن يتحدث هنا ولن أعلق على مكالمته؟ .. أعتقد أنها حيلة من حيله القديمة ..
تشجع ولا تنهزم كل مرة أمامه ..

- "شهااااب"

سأتماسك ولن أبدو مهزوزًا هذه المرة ..

٢٠. "شهاااب"

سكن صوت الكرسي .. لقد كان يلعب معي إذن !! .. سأخرج

إليه و .. ■■

الصوت يعود مرة أخرى ..

[illegible]

سأخرج ..

نعم سأتشجع وأخرج .. سأخرج ولكن بهدوء حتى .. حتى

أفاجئه

أخرج رأسي .. أتلفت في الصالة الخاوية ..

أسرع نحو طرف الحائط الذي يحجبني عن الصلاة ..

أنظر بطرف عيني نحو الكرسي .. يبدو لي طرف حذاء

شخص جالس فوقه.

هذا ليس حذاء شهاب !! .. إني متأكد من ذلك ..

من الجالس إذن؟! ..

أتمنى أن تكون تمزح معي يا شهاب ..

هل .. هل أجري إلى الشرفة حيث شهاب؟

سأتشجع وأخرج مرة واحدة و ..

توقف الصوت ..

أنظر بطرف عيني تجاه الكرسي .. فلا أجد الحذاء .. أدخل

برأسي قليلاً .. لا أجد أحدًا جالسًا على الكرسي !!

هل قام؟ .. هل كان هناك شخص ثم قفز من نافذة الصالة

المفتوحة؟ ..

هل كنت أتخيل مرة أخرى؟ ..

سأكون شجاعًا هذه المرة ..

أخذت نفسي عميقًا .. واتخذت قراري الحاسم الجري ..

وأسرعت بكل قوتي ..

نحو الشرفة !!

* * *

مقعدان من الخيزران ومنضدة صغيرة ..
هكذا كانت شرفة شقة هذا الوغد الذي كان يقف مستنداً
بحذائه على أحد المقعدين يتحدث بصوت منخفض معها وهو
يدخن.

لم يشعر بدخولي حين لفت انتباهي قفص صغير به ما يشبه
هيكليْن لعصفورين متحليين!! .. هل تركهما حتى ماتا جوعاً؟
رآني فأنهى حديثه سريعاً:

- بصي هاكلمك بعدين .. أيوه أيوه .. سلام

نظر إليّ حيث أهدق في القفص:

- نسيتهما لما سبت الشقة

التفت إليه فبادرني:

- شوف بالنسبة لـ "لمار" ..

- شهاب أنا عاوز اكلّمك في حاجة

* * *

هدأ المطر في الخارج .. وبدأت الشوارع غارقة في المياه.
كنت مطرًا إلى الأرض .. وهو يتابع الطريق في تفكير.
يبدو أنه لم يصدق كلمة مما حكيت.
أخبرته بكل شيء .. كل شيء .. حبل المشنقة .. ترابيزة
البلياردو .. وأخيرًا .. صاحب الحذاء في الصالة.
لم أكن أتخيل أن أمر بكل هذا في ليلة واحدة .. وفي مكان
واحد ..

هل أنا مريض لهذا الحد؟!
لقد بدأت بالفعل أعتقد ذلك .. وأشعر في هذا الوقت بالذات
أنني أحتاج لشهاب ..
نعم .. أحتاج لمن يعرف سبب مرضي. ولقد كان شهاب دائمًا
كذلك. رغم أننا قطبان متنافران، لكنني دومًا لا أستغنى عنه
أبدًا. لكن المشكلة الآن أنه لا يبدو عليه التصديق، وسيهزأ
بي كعادته.

- انت مش مصدقني .. مش كده؟
صمت كأنه لن يجيب ثم تنهد قائلاً:
- لا .. مصدقك

مفاجأة مدوية !!

نظرت له باندھاش .. لم يستهزئ كعادته ولكن .. لماذا يبدو
عليه التأثير هكذا؟

قام .. واستند إلى سور الشرفة ناظرًا للشارع .. تنهد مرة
أخرى ..

- "السبب الحقيقي اللي خلاني اعزل السنة اللي فاتت .. كان
فيه حاجات غريبة بتحصل في الشقة
ما هذا الذي يقول !!؟

- الأول قلت يمكن عشان انا زعلان .. لكن بدأت تتكرر بشكل
غريب من غير أي تفسير .. ما لقيتش للموضوع حل غير
اني اسيب الشقة بسرعة .. وانقل للفيلا حتى قبل ما تتشطب
حقًا؟ .. أكان يخفي عني ذلك كله؟

- بجد؟

نظر للأفق وهو يجيب

- مش قلت لك؟

..

- قلت لي إيه؟

نظر في عيني مباشرة وهو يجيب:

- إني هاعرف اشتغلك

للهولة الأولى لم أستوعب، إلى أن رنت في أذني ضحكته
مجلجلة وهو يقوم من مكانه .. ويتركني

* * *

جالسًا على الفتية أمام التليفزيون ماديًا رجليه على التراييزة
أمامه .. يقلب بالريموت بلا مبالاة.

ألقيت بجسدي جواره. نظرت إليه فلم يلتفت إليّ .. لمحت
مكعب "روبك" ملقى بجواري .. التقطته عابثًا به وأنا
أحاول أن ..

- زعلت؟

نظرت إليه فوجدته يكلمني وهو يقلب في الريموت بلا هدف
- إنت عندك حق

من الواضح أنني استطعت التأثير عليه بقوة، وأن المفاجأة
قد هزته بشدة وزلزلته من فوقه لتحتة، إذ لم يكلف نفسه إلا
النظر بطرف عينه، ثم عاد لما يفعل!!

أكملت دون اكتراث ببروده:

- أنا فعلاً زي ما قلت لي .. عندي عقد نفسية

- ثغرااااات نفسية

يا للمستفز الوقح !! لكني أحتاج إليه في هذه اللحظة ..
سأكمل مهما كان .. فلست أنا السبب في كل ذلك .. إنها أمي
.. أمي التي كانت تصرّ على إطعامي بنفسها، وأن تربط لي
الحذاء بنفسها، وأن تمسك يدي بحرص زائد كلما خرجت
معهـا.

وعندما كبرت .. انتقل اللجام إلى أبي .. الذي اختار لي القسم
العلمي .. ثم اختار لي كلية التجارة الإنجليزية.
حتى تأخري في الزواج .. كان بسبب إصرارهما على اختيار
العروسة بنفسهما .. وهو ما أقاومه حتى الآن.
داريت خجلي في المكعب الذي بيدي وأكملت:

- أبويا وامي خلوني إنسان مشوش .. مش واثق في نفسي
.. دا حتى حقنة السكر .. ما عنديش الجرأة أديها لنفسي
هذا المكعب المستفز !! .. وهذا الوغد لا يستمع إليّ !! ..
لماذا أحكي له وهو آخر من يسمعي .. وأول من يسخر مني
- إنت سامعني ولا لأ؟

صرخت فيه وألقيت بالمكعب في وجهه، فالتقطه بسرعة
ونظر إليه ببرود .. ثم بدأ في ترتيبه وهو يجيب:

- سامعك كويس جدًا يا حبيبي .. انت ماجبتش حاجة جديدة .. غالبًا وانت صغير .. مامتك أو باباك كانوا بيأكلوك ويلبسوك بنفسهم .. وغالبًا همه اللي اختاروك الكلية .. ومش بعيد يكونوا بيحاولوا دلوقتي يجوزوك لبنت مش عاجباك .. وانت بتحاول تقاومهم طبعًا وضع المكعب على التراييزة بعد أن رتبه كاملاً .. ثم ألقى بكلمته الأخيرة:

- لكن للأسف .. مش هاتقدر تقاومهم .. وهاتفشل
قام من جانبي متجهاً للحمام وهو يدندن بصوت عال ..
وتركني ناظرًا للمكعب المرتب في شروء.

*** * ***

"ما بلاش نتكلم في المaaaaااضي .. الماضي ده كان كله جرaaaaاح"

أسمعه من بعiiiiiiيد .. يغني في الحمام .. ثم أسمع صوت شد السيفون.

...

في الصلاة مغمضاً عيني .. يلمع ضوء البرق مرة أخرى ثم
الرعد ..

أفتح عيني وأنظر تجاه النافذة بفزع !!

...

عاد وهو يغلق سوستة سرواله.

- تعرف يالا آخر مرة انا جيت هنا امता؟ .. يوم عيد
ميلادي .. عزمت زمايلي في الشغل بس .. كنت انت لسه
ماجتش من بره ..

...

أكملت له:

- كانوا ست رجالة .. واثنين ستات .. ولما طفيتوا الشمع ..
كوباية وقعت على واحد .. وغرقت قميصه
توقف الزمن ..

وساد المكان صمت ثقيل .. لا يقطعه سوى صوت الرعد
المتتالي .. والأمطار التي عادت تهطل بشدة في الخارج ..
ونظرته الذاهلة التي آراها على وجهه لأول مرة
- شهاب أنا باشوف حاجات حصلت بالفعل في المكان ده

* * *

الثانية عشرة

في الشرفة .. رغم المطر .. أتابع بتركيز شديد وقلب مضطرب .. السيارات التي تقطع الطريق..

أحسست بيده على كتفي فالتفتت إليه بعينين حائرتين .. ألمح في عينيه ولأول مرة نظرة شفقة لحالي .. وقد علم لماذا أتطلع للشارع

- الحاجات اللي باشوفها بتحصل في الشقة هنا بس يا شهاب ضغط على كتفي وجذبني برفق
- تعالى نقعد على أي كافيه بره

* * *

أغلق جميع نوافذ الصالة وهو يتحدث إلى تامر في الموبايل
- آه عند كافيه لاتسيو .. لا إحنا مستنيين المطرة تهذا شوية
عشان ننزل .. سلام

كان هذا أفضل قرار رغم المطر الشديد، فالساعات الثلاث
الفائتة أصعب من أن أتحملها، لا أدري شيئاً عن مشاعره
ولكن من الواضح أن نبرة الاستهزاء واللامبالاة قد ذهبت من
حديثه تمامًا.

قضيت حاجتي مسرعاً في الحمام مضطراً لتجنب ضغط
المثانة عليّ. لم أهتم بالنور الذي وجدته يعمل، فلا شيء الآن
يهم. المهم أن أرحل ..

التقطت معطفي وانحنيت لأربط حذائي ..

دوار شديد يمسك برأسي ..

يخيل إليّ ضباباً كثيفاً وأنا منحن للأرض ..

أكمل ربط حذائي دون اكتراث وأحاول التماسك بقوة ..

وصوت حديثه في المحمول يخفت في أذني بالتدريج

الضباب يزداد بشدة.

...

شخص ملقى على الأرض مخرجاً في دمائه ..

يد أمامه ممسكة بسكين كبير .. ومصابة هي الأخرى بجرح

قطعي كبير ..

...

الدوار يلقي برأسي يميناً وشمالاً .. أرفع رأسي فتدور عيناى
وأمسك بكتف شهاب بسرعة كي لا أقع .. فيمسك بي بقوة

* * *

أدور في المكان متوترًا وهو جالس على مقعد بجوار الباب
يدخن

- يا بني اهدأ بأه ما ينفعش كده !!

- أنا مش فاهم إيه اللي بيحصلي !!

أمسك بكتفه متوسلاً:

- شهاب طمني .. اللي انا شفته ده حصل؟

- حصل ايه بس انت إيه اللي جراك؟

- بس انا شفت حاجات قبل كده حصلت هنا فعلاً

ألقى ما تبقى من سيجارته على الأرض ودهسه بقدمه:

- مش عارف .. هو فيه فعلاً ظاهرة اسمها الاستبصار ..

ممکن الواحد يشوف حاجات حصلت قبل كده .. لكن يشوفها

في مكان معين؟ .. دي ما قرئتش عنها خالص

- مش ممكن تكون بتضحك عليا عشان تخبي جريمة قتل
حصلت هنا؟

- جريمة إيه يا حيوان؟

وضعت وجهي بين يداي وعلا صوتي بنشيج قوي .. فصاح
وهو يقوم من مكانه:

- يووووووه بأه

رفعت رأسي بعينين غارقتين بالدموع ..

- شهاب انا .. أنا آسف .. أنا ما عرفتش طعم الراحة من ساعة
ما رجعت .. لا .. من ساعة ما سافرت .. حاسس .. حاسس
ان ضميري بيعذبني .. فاكرك؟ .. فاكرك يا شهاب؟

...

- كنت انا السبب ان طارق يتحبس ثلاث سنين في لعبة
مالوش فيها .. وكل ده عشان خاطرك انت

- مالوش لزوم الكلام ده دلوقت

- لأ له لزوم .. مانت أصلك خبطت الخبطة وحولت الفلوس

من بنك لبنك وحطيت اسمه في النص عشان يلبس هو ..

بس انا كنت عارف .. أنا كنت عارف وما قدرتش اتكلم

- خلاص يا نادر .. ايه اللي فتح السيرة دي دلوقت؟

انتفضت من مكاني وصرخت فيه:

- لأ مش خلاص .. باقولك انا كنت عارف يا شهاب .. كنت عا

....

جسمي كله يرتطم بالأرض ..

لا أدري متى ولا كيف حدث ذلك ..

- ناااادر !!

الدم يهرب من رأسي ..

- نااااادر !!

أتنفس من أنبوب ضيق ..

- نااااادر !!

أشعر بوخزة في ذراعي ..

يبدو أنه يحاول إنقاذي بحقنة السكر قبل أن تهزمني النوبة

.. لكن .. فات الألوان ..

تداخلت الشخوص ..

أمي .. أبي .. العروس .. زملاء العمل .. طارق ..

القتيل ينظر لي على الأرض بعين مفتوحة ..

لماذا يبدو عليه الاندهاش وكأنني أنا الذي قتلته؟ ..

يمد إليّ يده .. ينظر للسكين الكبير المغروس في صدره ..
تختفي ملامحه ..

يختفي الكون كله من حولي ..
وأذهب في سبات عميق ..

(5)

شهاب

الواحدة بعد منتصف الليل

- "لا ماتتعبش نفسك ماينفعلش تيجي في الجو ده .. لما يفوق هانروح ونخليها مرة تانية وبعدين دي نوبة سكر هو كويس .. حاضر .. سلام"

في حجرة نومي .. أجلس بجواره أتابعه في غفوته .. يبدو أنه لم ينم منذ ساعات طويلة لسبب أو لآخر، فقد انهار جسمه فجأة إثر نوبة السكر. كما يبدو أنه مر بحوادث نفسية سيئة منذ عودته من الخارج. من المؤكد أن أبيه وأمه لم يرحماه. بالإضافة إلى ما واجهه منذ جننا إلى هنا. لم أكن أعلم أن مثل هذا الإنسان يمتلك حاسة الاستبصار أو ما يشبهها. من الواضح أنه يمتلكها وإلا .. كيف عرف بكل

هذه الأحداث؟ .. إن شخصية نادر لا تستطيع أبدا أن تخلق
كذبًا مركبًا بهذا الشكل .. رباه !! هل من الممكن له أن ..
تقلب في الفراش فنفضت الأفكار عن رأسي وكأنني أخشى
أن يسمعها أو يراها.

عدت إلى صوري التي أطلعها على الآيباد .. ريهام ..
ولجين التي لم تتجاوز السنتين .. شرم الشيخ ومطروح
والأقصر. تتسع ابتسامتي كلما أتوغل في الصور وتترقق
عيني بالدموع وأنا أداعب سلسلة رقبتى المزينة بحرفي S
و R

انتهت الصور فأغمضت عيني وأسندت رأسي للوراء.
لماذا الليلة؟ ..

لماذا ترتطم كل الذكريات برأسي وكأنها قررت أن تغزوها
الليلة. أشعر بهواء الغرفة يخنق أنفاسي!
قمت مسرعًا إلى الشرفة .. أريد أن أهرب من هذه الذكريات
!!

* * *

القفص الذي تركته عامًا كاملاً.
اقتربت منه .. ونظرت داخله ..
وكأنه كان الفجوة التي عبر منها الماضي فجأة إلى رأسي !!
..
هل أراهما أمامي يمرحان داخل القفص ويلتقطان الحب
والماء؟ ..
هل أسمع صوتهما يغرد بعذوبة؟ ..
هل أحس بها واقفة خلفي .. وفي يدها لجين بابتسامتها
الساحرة؟ ..
- "شهاب"
...
- "العصافير شكلهم جعائين"
...
- "هامشي وانت زعلان؟"
لا ألتفت إليها وأتابع العصفورين في القفص وأنا أجيب:
- وانتي من امنا بيهمك؟
- ما تقولش كده تاني لو سمحت
...

- والله لولا الدكتور طلب مني اروح المؤتمر ما كنت سافرت
وسبتك .. أنا حجزت عشان قلت لي انك موافق .. لو لغيت

السفر الدكتور هيلغي الرسالة

- انتي بتعيدي الكلام ده ليه تاني؟

صوتها يخنقه البكاء:

- مش عايزة امشي وانت زعلان

...

- مش زعلان

أشعر أنها تبتسم وتمسح دموعها كأنها اكتفت بهاتين
الكلمتين

- والله لو قلت لي اقعد دلوقتي هالغي السفر وهاقعد

...

- وانا مارضالكيش بكده

- طب .. مش هاتسلم على لوجي؟

...

يداي تريدان أن تهربا مني وتتطلق لتقبل الصغيرة التي
تأسرني دومًا بابتسامتها الساحرة.

أسمع كلماتها دون صوت تكلمني

"قف مكانك من فضلك !! .. أنت لا تستحق لمسة من يدي ..
ولا ابتسامة من شفتاي .. ولا نظرة من عيني .. إن كانت
أمي قد أخطأت في حقي أو أخطأت في حق نفسها .. فما
ذنبي؟ .. هل أكرمت في حقك؟ .. هل أدفع دوماً ثمن كل خطأ؟
قف مكانك ولا تلتفت !! .. أنت لا تستحق مني حتى كلمة بابا
!!

لا أدري كيف عجزت عن الالتفات إليهما.
كل ما حدث أني سمعت صوت شيء يوضع على الطاولة
خلفي .. ثم صوت خطواتهما ينصرف سريعاً.
ألتفت .. فأجد علبة صغيرة .. أفتحها فأجد بها مشغولة فضية
جميلة .. منقوش عليها R و S .. أول حرفين من اسمينا ..
في أي شهر نحن؟ .. نحن في التاسع من فبراير؟ .. لقد كان
اليوم عيد ميلادي !!

صوت غلق الباب يرن في أذني
يمتزج صوته بصوت آخر مروع شديد يصم أذني
لقد احتلت الذكريات كل كياني ..
المشهد المرعب لاحتراق الطائرة في الجو ..
صوت صراخ الركاب ..

الصورة القديمة للجريدة ..

"سقوط الطائرة المصرية المتجهة لكندا .. ومصرع جميع

ركابها"

أفيق من شرودي ..

...

العصفوران المتحلمان في القفص .. والأمطار في الشارع ..

والهواء البارد يلفح جانب وجهي ..

أمسك بالسلسلة في رقبتني .. تنحدر الدموع ساخنة .. مع أنين

يحرق صدري

لقد هزمتني الذكرى .. هزمتني لأول مرة في حياتي !!

(6)

نادر

أمي وأبي .. العروس .. زملاء العمل .. طارق ..
الدم ينسحب من رأسي
التنفس في الأنبوب الضيق !! ..
الوخزة في ذراعي ..
هل أفقت من نوبة السكر؟ .. هل انتهى ذلك الدوار من رأسي؟
.. هل خرجنا من تلك الشقة اللعينة؟
أفتح عيني ببطء وأتلفت حولي ..
تحفة جديدة من تحف ذلك الوغد ..
غرفة نوم يوحى كل شيء فيها بالاسترخاء .. رغم أن كل ما
فيها: سرير على الأرض دون قوائم، ودولاب في الحائط
الأبيض، وتسريحة .. لا أدري هل يصمم أثاثه بنفسه أم هناك
من يصممه له. كيف يفهم هذا الوغد في كل هذا الجمال؟
أجد الآيباد على كرسي بجواري .. يبدو أنه كان يعتني بي في
غيبوبتي .. أتلفت حولي مرة أخرى كأنني أبحث عنه .. ثم

ألتقط الآيباد من على الكرسي وأقلب فيه .. أول جهاز إلكتروني أراه في حياتي لا يغلقه صاحبه بكلمة سر !!
صوره مع ريهام ولجين !! .. إنسان غريب حقًا !! يضع صورته في كل مكان، ولا توجد أية صور لزوجته وابنته سوى في الآيباد الخاص به .. لماذا أشعر أنه يحاول نسيانهما؟
هناك صور أخرى للحفل الذي حدثني عنه .. زملاء العمل جميعًا .. ذكريات لا أدري أكانت جميلة أم لا .. ربما كانت جميلة لولا الحادث الذي قلب حياتي ..
أمانى حامد .. حسن سلام .. شريف علم ..
وطارق؟! .. هل كان معهم؟! ..

...

"عامل ايه دلوقت؟"

دخل فجأة وأنا أتطلع إلى الصورة

- مش ده طارق؟

دقق في الآيباد ثم أخذه من يدي بلا مبالاة ووضعه على التسريحة

- عزمت صحابي وهو كان معاهم لما خرج م السجن

هكذا؟! .. بمنتهى البساطة؟! .. ياللبجاجة !!

كأنه يقرأ أفكارى ، إذ ابتسم بلزوجة وهو يقول:

- ماتستغربش .. البجاجة شيء والزمانة شيء تاني ..
وعشان ماتسألش السؤال اللي بعده .. أنا كنت فاكرا انه
ميعرفش حاجة عن اللي عملته معاه
نذل بكل معاني الكلمة .. كيف عرفت ولا زلت أعرف هذا
المخلوق؟ .. لماذا أنا منجذب إليه دوما بحبل خفي؟ .. هل
لأنه يستغل صداقتي في تحقيق مآربه؟ .. هل لأنني محتاج
إليه؟ .. حقيقة لا أدري !!
تهدت بعمق وبقلة حيلة .. لفت انتباهي فوق
التسريحة كاسيت لا يبدو متناسقا مع ديكور المكان .. لمحني
أنظر إليه فسألني:
- تحب تسمع حاجة؟
- مش قلت مابتحبش الذكريات؟
أجاب وهو يلعب على الأياد دون أن ينظر إلي:
- ده المبدأ التاني .. الذكريات حاجة والأنتيكات حاجة تانية ..
اشتريته من شارع المعز بتلتميت جنيه
قمت ببطء متجها إلى التسريحة .. قلبت في الشرائط
ونوستالجيا حالمة تتنابني لزمن المراهقة ..

[illegible]

قُلْتُهَا عِنْدَمَا وَجَدْتُ هَذَا الشَّرِيطَ أَمَامِي

.. کوکب تانی؟ .. الأغنية دي بترجعی لورا وبتفکرني بحاجات

کتابتیں

٢٠٠٠ عارِف عارِف

۲. عارف ایه؟ .. عارف بتفکرنی بایه؟

ترك الكرسي وقفز على السرير وهو يتابع اللعب

- لأبس فاهم اللى تقصده .. ده اسمه ارتباط شرطى

أدرت الشريط فانسابت الأغنية ..

رغم أنى كدت أنساها إلا أننى لا أدري لماذا تلامس كلماتها

قلبي كلما سمعتها ..

أغمض عيني وأحلم..

"رافضك يا زمانى .. يا أوانى .. يا مكانى .. أنا عايز أعيش

فی کوکب تانی

.. تعرف؟ .. عدم ثقتي في نفسي اتسببت في ضياع حلم عمري

- يا عم انت ضايع أساسا

"فيه عالم تانى .. فيه لسه أمانى .. فيه الإنسان .. لسه إنسان

.. عایش للثانی

أضغط عيني بقوة كأني أستقبل الذكريات التي بدأت تتساب
مع الأغنية

أغوص في زمن غير الزمن

...

"عالم طيار ورياحه قوية .. بتهد كياني تكسر فيا .. من غير
مواعيد .. بتأخذني بعيد .. عن معنى حياتي ... عن أصلى
وذاتي .. وده مش بإديا .. وده مش بإديا"

...

أقف بجوار نافذة غرفتي .. بجواري الكاسيت دائراً على
الأغنية .. أنظر إلى بيتها .. تظهر وهي تدخل البيت
"فيه سد منيع عااااالي وفظيع عااااالي وفظيع .."

أقف بجوار نافذة غرفتي .. تخرج من بيتها وتستقل تاكسي
"فيه سد منيع عااااالي وفظيع عااااالي وفظيع .."

أقف بجوار نافذة غرفتي .. رجل وامرأة ينزلون من سيارتهم
ومعهم شاب متأنق .. يدخلون بيتها

"بين روعي ورسمي .. بين يوم وأمسي"

صوت زغرودة يصدر من بيتها .. أجري على النافذة

"واللي اتمنيته ولاقيته في الهوا بيضيع .. وده مش باديا ..
وده مش باديا"

ألاحظها من نافذة بيتها تتشاجر مع أبيها لكني لا أسمع
الصوت .. يتركها أبوها فتخرج في الشرفة تبكي
"مكبوتة في قلبي أحلام محصورة .. وحطام أفكار أيتام
مبتورة .. وآمال مطوية
بتعافر فيا .. وكأن أواني كان لسه شوية"

أصوات فرح وأغاني صادر من بيتها
"وف وسط الناس والرحمة .. تاه الإحساس والرحمة .. ضاع
مني سلامي .. تاه حتى كلامي .. ضاق بيا مكاني ..

كذاب يا زمانى ..

كذاب يا زمانى ..

أقف بجوار نافذة غرفتي باكيا .. يرن جرس الباب .. أفتح فلا
أجد أحدا .. وأجد خطابا على عتبة الباب

"رافضك يا زمانى .. يا أواني .. يا مكاني .. أنا عايز اعيش
في كوكب تانى ..

...

صوت المطر يطرق نافذة غرفة النوم .. أفتح عيني وأبتسم
بصعوبة ..

- كانت طريقة قديمة قوي .. الجواب كان منها؟ .. تعرف كان
فيه إيه؟

يلقى الآيباد بجوراه ساخطاً:

- جيم أوفر !!

- كانت بتقول: "ماتفتكرش ان مشاعرك من ناحيتي كانت من
طرف واحد .. أنا كنت بآبادلك نفس الشعور .. وباعاني زي
ماكنت بتعاني .. بس دي آخر فرصة لينا .. مش عارفة ممكن
تعمل إيه .. بس يا تلحقتي يا ماتلحقنيش"

- تصور انها كانت عارفة اني باشوفها؟ .. تصور انها كانت
.. كانت بتحبني؟

فيه عالم ثاني .. فيه لسه أماني .. فيه الإنسان .. لسه إنسان
.. عايش للثاني"

أغمض عيني حتى لا تنحدر الدموع منها فتتسل من تحت
الجفون .. أشعر به بجواري يطفئ الكاسيت .. لا أفتح عيني
.. يضع يده على كتفي

- شيء صعب جداً ان حلم عمرك يضيع قدامك

أفتح عيني وأستدير له

حرفا الـ S و R !! ..

حرفا الـ S و R في سلسلته ..

أين رأيتهما؟ ..

...

القتيل الملقى على الأرض ..

السلسلة ملقاة بجواره ..

عليها حرفا الـ S و R !!

...

كيف لم أنتبه إليها؟

أمسكت برقبتة بمنتهى العنف

- سلسلتك

- فيه إيه؟

- كانت جنب القتيل ..

- مش معقول بأه يا نادر !!

- إيه دخل سلسلتك يا شهاب .. عايز اعرف .. شهاب انت ..

إنت قتلت مين اتكلم؟

- قتلت إيه يا بن المجنونة انت .. فووووق بأه !! .. ما
قولتك ياللا نغور من هنا

لم أحتمل كل هذا الضغط على أعصابي .. أمسكت بياقة
قميصه بقوة فصرخ في وجهي
- فيه إيه ياللا؟

- بص بأه انا تعبت .. ورحمة أُمي .. ورحمة أُمي ما هاتحرك
من هنا غير لما اعرف .. لما اعرف ..

تذكرت شيئاً !! .. ياللكارثة !! .. أيمن أن يكون .. !!
أجري ناحية الأيباد وأقلب فيه بسرعة .. أتوقف عند
الصورة الجماعية للحفلة، والتي يظهر فيها طارق ..
الحذاء ..

حذاء طارق ..

تتواتر على ذهني صور متتالية ..

الحذاء فوق الكرسي الهزاز ..

الحذاء الذي رأيت القتل يرتديه ..

كلاهما واحد ..

الحذاء حذاء طارق ..

- طارق!! ..

صرخت بكل قوتي وأنا أمسك بشهاب

- طارق يابن الكلب .. طارق ..

نظرة باردة تحمل قسوة لم أرها فيه من قبل .. ويد قابضة
على يدي تنتزعها من قميصه

- أيوه طارق

ماذا قال؟ .. أحقا ما سمعت؟ .. ليته كذبني .. ليته صرخ في
وجهي .. تمنيت لو أنكر .. تمنيت لو كانت فيه ذرة طاهرة ..
لقد كان ملوثاً بكل شيء .. حتى القتل .. أحقا قتل طارق؟
جلس على كرسي السفارة .. ووبرود مخيف .. بدأ يروي لي

..

كل شيء ..

* * *

انسابت كلماته في أذني وهو يروي .. ربما كانت المرة الأولى
التي شعرت أنه صادق معي .. أنه يريد أن يزيح عنه هما

"لما خرج طارق م السجن .. قالولي انه عرف كل حاجة وانه
نوى على الانتقام .. ماكانش يعرف أي حاجة عنك .. فاجأته
وعزمته على عيد ميلادي .. كنت عايز اربك تفكيره ..
واعرض عليه حل وسط .. عزمت زمايلنا كلهم"
استمر في حكيه وأنا أتخيل ما حدث .. هنا .. في هذا المكان
..

...

زملأونا يتوافدون تبعاً على الشقة ..
شهاب ينظر في ساعته متوتراً ..
الزملاء يطفئون الشمع ..
يضاء النور فينسكب مشروب غازي أسود على قميص أحدهم
..

يحضر طارق بهدية حمراء مغلقة .. يستقبله شهاب ..
الزملاء ينشغلون بمشاهدة التليفزيون ولعب البلياردو ..
ينتحي شهاب بطارق جانباً .. يبدو الحديث هادئاً ويبدو على
طارق التحفز ..
يتركه شهاب ليهدأ ويذهب لإحضار عصير لكليهما ..

وسط الفوضى في المطبخ يعد العصير .. تقع عيناه على علبة
نقط ..

يخرج حاملاً كوبي العصير .. طارق جالساً على الكرسي
الهزاز ..

يقدم له شهاب الكوب ويتركه متشاغلاً بالزملاء ..
طارق يقع على الأرض .. الزملاء يجرون إليه ..
شهاب يقترب منه .. ينظر له طارق ولسانه يعجز عن النطق
.. يتشبث بسلسلته وينتزعها من صدره .. تتخاذل يده وتسقط
بجواره فيلتقط شهاب سلسلته ...

"كنت عارف انه عنده القلب .. وان النقط اللي حطيتها له
بتوسع الشرايين .. فهاتظهر كأنها نوبة قلب عادية ..
أنا مافكرتش خالص في الفكرة دي لغاية ..
- "طول عمرك أقوى مني"

نطقها وأنا أنظر بعيداً سارحاً فتوقف عن الكلام مندهشاً
- خدت مني أول واحدة كلمتها في الجامعة ببساطة .. لما
عرفت ان ابوها ممكن يشغلك في البنك .. وما قدرتش اعمل
لك حاجة ..

ضيعت سنة من عمري لما بدلت معايا ورقة الاجابة ف آخر
سنة .. وما قدرتش اعمل لك حاجة ..

حاولت تعوضني بانك تشغلني معاك لما اتخرجت .. وقبلت
وانا ساكت ..

ودلوقتي .. خلتني اظلم برئ .. وانت تقتله ..
وبرضه مش قادر اعمل أي حاجة

...

الصمت يسود المكان .. لا يسمع حتى صوت المطر الذي
توقف تقريبا عن الهطول في هذه الساعة ..

فجأة يرن محموله باتصال من الميكانيكي

- أيوه يا ابراهيم .. انت قربت؟ .. معقول خلصت؟ .. ازاى
الكلام ده؟ .. طب انا نازلك

أغلق الخط وهو يحدثني

- بيقول العربية مفيهاش حاجة .. آمال عطلت بينا ازاى؟
سمعت ولم أفهم .. إذ كنت شاردًا في عالم آخر .. أحاول فيه
أن أعيد ترتيب أفكاري التي تبعثرت هذه الليلة .. بل تبعثرت
منذ ثلاث سنوات .. بل طوال عمري كله
- طب انا نازل اشوفه

لم أسمعهُ وهو يتكلم ثانية ..
لم أسمعهُ وهو يتجه للباب .. ويصطدم بشيء ما متبرماً ..
لم أسمع سوى صوت الباب يغلق .. ويتركني وحيداً في الشقة
..
وتنفث طاقة من الذكرى القاسية ..

* * *

أدخل مكتب طارق
"طارق لو سمحت انا عاوز .."
أفاجأ بوجود شهاب يفتش في المكتب .. أصرخ في وجهه
ذاهلاً:
- انت بتعمل ايه عندك؟

* * *

ضابطان يخرجان من المكتب ومعهما طارق .. يمرون أمام
مكتبي ..

أتحاشى النظر إليهم

* * *

أقف أمام مكتب التحقيق .. أهم بالدخول ..
يستوقفني شهاب .. يضع يده على كتفي وينظر في عيني ..
أخفض رأسي في الأرض .. وأدخل المكتب

* * *

قاعة المحكمة ..
صوت القاضي ..
"بعد الاطلاع على الأوراق ونتائج التحقيقات .. قررت
المحكمة معاقبة المتهم طارق محمد المنياوي .. بالحبس
ثلاث سنوات مع الشغل والنفاد"

[illegible]

صراخ طارق يدوي في القاعة عاليًا .. ويدوي في أذني ..

*** * ***

صوت شهاب يفتح باب الشقة .. أفتح عيني كأني عدت من
عالم آخر

أراه يخرج بعض الأطباق من النيش .. أراه يتوقف أمام شيء
وجده داخل النيش ويبتسم .. علبة حمراء .. يفتحها .. يخرج
منها .. حبل مشنقة صغير !!

أنتفض من مكاني واقفًا .. ينظر لي باسمًا

- مش ده الى قلت كنت بتشوفه؟

أنظر للحبل بجزع، فيكمل:

- دي هدية طارق يا سيدي ..

البواب شالهالي في النيش وماشفتهاش وانا باعزل .. شفت
كان جايب لي إيه؟

لازلت أنظر إلى الحبل في يديه بدهشة ولا أكاد أسمع ما يقول .. إذ اندفع إلى ذهني مشهدين لم أدر في البداية علاقتهما:

...

السيارة بالخارج ..

حذاء طارق على الكرسي الهزاز ..

...

- "مالك؟"

لاحظ شرودي؛ فأجبتة بسؤال .. كأي أحدث نفسي:

- اشمعنا العربية ما عطلتش غير قدام الشقة؟

- نعم؟

- والميكانيكي يقول مكانش فيها حاجة

- نادر

أفقت من شرودي وفاجأته بالسؤال:

- تفكر طارق هو اللي بيعمل فينا كل ده .. عشان .. عشان

ينتقم؟

أخرج علبة تونة من الكيس الذي ابتاعه وفتحها وهو يبتسم

بسخرية دون أن يجيب

- ايه؟ .. هاتقولي ثغرات نفسية برضه؟

- لا نفسية إيه بأه؟ .. إنت كده الساقعة كلت دماغك .. ألف

مبروك

جرحته العلبة وهو يفتحها فتألم وضغط على يده بأصابعه، ثم
خلع المعطف وهو يقول:

- بس صدقتني ان طارق هو اللي كان ناوي ع الشر؟
بقعة سوداء تظهر واضحة في قميصه بعدما خلع المعطف
- ايه ده؟

بلا مبالاة يجيب وهو يتلفت بحثًا عن شيء ما:
- ده النسكافيه اللي كنت عاملة يا سيدي

...

حبل المشنقة في الحمام ..
المشنقة في يد شهاب ..

...

المشاهد تقفز إلى ذهني بشكل مزعج !!

كل شيء يكاد يتضح الآن ..

كل شيء ..

- "اشرب"

يشير إلي بكوب عصير، يبدو أنه أعده وأنا شارد ..

التقطته وبدأت أشرب وأنا أنظر في الفراغ

...

الكوب ينسكب على أحد المدعويين ..
قميص شهاب المبقع باللون الأسود ..

...

يلتقط منديلاً من أمامه ويضم عليه قبضته وهو يشير لي
بالأكل
.. تاكل؟

أهز رأسي بالرفض دون أن أتكلم
.. يا نادر انا كنت طول عمري باحلم باليوم اللي اكون فيه في
مستوى ثاني .. جربت يا نادر تبأه كل هدومك اللي
بتلبسها مستعملة؟ .. أبويا كان طباخ يا نادر .. وكان بيحبيب
لي هدومي صدقة من ابن البيه ..

نادر كل واحد له حلم مايبحبش حد يقف في طريقه .. وانا
حلمت .. وطارق وقف في طريق حلمي .. تفتكر كنت هاعمل
ايه؟

يفتح يده المضمومة على المنديل .. فيبدو المنديل
مشبعاً بالدم وتظهر يده المجروحة

...

القتيل ملقى على الأرض ..

يد مجروحة تمتد إليه ..

...

- انت ايدك متعورة؟

- آه .. اتعورت من علبة التونة

يقع المنديل من يده فينحني ليلتقطه .. علبة نقط دواء تبدو
واضحة من خلفه عندما انحنى

...

شهاب يقدم العصير لطارق ..

...

- "المستقبل" !!

صرخت بكل قوتي، فنظر لي متساءلاً:

- مستقبل ايه؟

أكملت كأنني لم أسمعته:

- أنا ماكنتش باشوف حاجات حصلت .. أنا كنت باشوف

حاجات هتحصل .. الحاجات اللي انت ..

توقفت عن الكلام وأنا أفكر ..

لقد اتضح كل شيء الآن ..

كل ما رأيته يعني أنه هو القاتل .. هو القاتل .. والمقتول ..
ليس إلا .. يا إلهي !!

توقفت فجأة ونظرت لكوب العصير في يدي .. ثم نظرت إليه
فزعًا

- العصير ده فيه ايه؟

- لأ واحدة واحدة مش فاهم

- انت عاوز تقتلني يا شهاب؟

- أقتلك؟

- كان لازم اعرف ان الوساخة ف دمك .. والكل عندك زي
طارق .. الكل عندك زي طارق

لابد أن أفعل شيئًا ..

لابد أن أفعل شيئًا ..

جريت بكل قوتي .. تجاه المطبخ

لابد أن أفعل شيئًا .. نعم .. سأفعل ..

(7)

- نالالالالالالالالالالالال !! ..

ما الذي جرى له؟ ..

يبدو أنها نوبة سكر جديدة ..

*** * ***

في المطبخ .. كل شيء يبدو مرتبًا عكس ما رأيت ..

لم أعد أحتمل .. لكن لا وقت لأي شيء الآن .. يجب أن أسرع

.. لا وقت ..

*** * ***

.. نااادر !! ..

يبدو أنه لم يعد يحتمل ما مر من أحداث في ساعات قليلة

داخل مكان واحد .. حتما كان لابد أن ينفجر ..

كيف لم أنتبه إلى ذلك؟

* * *

أبحث بعيني في كل مكان بالمطبخ .. عن .. عن أي شيء ..
ماذا أريد .. كيف سأنقذ نفسي .. إن هذا القاتل سوف يقتلني
..

الآن فقط فهمت .. كل شيء .. أنا الذي سأقتل ..
يجب أن أسرع ..

* * *

- نادر اسمعني !! ..
ألحق به بالمطبخ .. يجب أن أكون هادئاً حتى تهدأ أعصابه
..
إنه يحتاج مني كل المساعدة هذه اللحظة بالذات .. وسأساعده

* * *

أزيج ما على الرخامة فتشيع الفوضى في المكان ..
حتى الفوضى التي رأيتها من قبل .. تحدث أمامي الآن .. كل
شيء رأيتَه يحدث الآن .. كل شيء .. ولم يبق إلا ..
رباه !! .. يجب أن أسرع ..
أجد ذلك السكين الكبير المخصص لتقطيع التورته .. أنظر له
كأنه إنسان شاخص أمامي

* * *

- نادر انت نوبة السكر مو تراك
أقترب منه أكثر حتى أصبح خلفه .. يبدو رغم أفعاله العصبية
أنه يفكر .. وتفكيره هذا شيء إيجابي .. أن يعطي فرصة
لعقله أن يتصرف لا لعواطفه ..
سأخاطب عقله حتى تتوارى العواطف قليلاً ..
سأسحبه خارجاً حتى نكون في مساحة تسمح لي بالحركة

* * *

ألتقط السكين وأستدير إليه .. يتراجع للخلف خارجاً من
المطبخ ..

لن أضيع الفرصة .. هذه المرة تعني حياتي ..
أجد نفسي معه في الصالة .. كيف استدرجني دون أن أشعر
.. لم يهرب أو يجري خارج الشقة .. إنه يراهن على جبني
..

أنظر له وللسكين .. إنه يمارس عليّ ما قرأه في الكتب ..
لكنه لن يهزمي هذه المرة .. لن يهزمي !!
- نادر .. انت سامعني؟ .. سامعني يا نادر؟

الماضي .. يأتيني من بعيد جداً .. يأتيني بأصوات متداخلة ..
تتحسر شيئاً فشيئاً حتى لا أسمع سوى صوت واحد .. أمي
"هاتسمع الكلام يا ولد يعني هاتسمع الكلام"

* * *

أقترب قليلاً منه
- انت مش ممكن تعمل كده يا نادر .. هات السكينة

* * *

ينحسر صوتها .. أسمع من بعيد صوت زوجة طارق .. تبكي
"طارق اتحبس والشركة مش عايزه تصرف لنا أي فلوس ..
ولادي هياكلوا منين؟"

* * *

أقترب أكثر .. أمسك بيده
- انت إنسان كويس يا نادر .. وانا مش ممكن اخونك أبدًا

* * *

الأصوات تتداخل .. الماضي يبتعد بي أكثر .. الأصوات
أصوات أطفال في فناء مدرستي
أنا طفل صغير .. أشعر بآلام في كل جزء من جسدي ..
الأطفال من حولي

رغم أني ممسك بعصا في يدي .. أبكي بحرقة .. طفل ضخم
يمسك يدي وهو يغیظني
- ما تقدرش تعمل حاجة
يمتزج صوت الطفل بصوت شهاب من بعيد:

- هات السكينة يا نادر

- لو راجل اضرب !!
- هات السكينة

- انت أصلا جبان !!
- هات السكينة

- جبالاااااااااااا !!
- هات السكينة

أصوات الأطفال تتناغم في إيقاع رتيب وهم يصفقون
"جبالان .. جبالان .. جبالان"

لابد أن أنتقم منهم .. لابد ..

"جبالان .. جبالان .. جبالان"

أرفع العصا .. ها هو الطفل الضخم يندهش أخيرًا لصنعي ..

أصرخ بكل قوة في وجهه ..

أنزل بالعصا على صدره ..

صوت صرخة يرتج لها كياني ..

...

شهاب جاحظة عيناه ..

السكين .. حتى المقبض .. مغروس .. في .. قلبه !!

* * *

...

...

تتسحب الدماء من جسدي ..

كيف فعلها ؟ !! ..

لا أستطيع تحريك يدي .. قواي تخور شيئًا فشيئًا ..

كيف لم أتوقع أن يقوم بهذا الفعل المفاجئ؟

الدم لا يصل إلى المخ ..

أرى .. أرى شخصا في المكان حولي .. بلا ملامح ..

تتضح شيئاً فشيئاً ..

أنتما؟ .. كنت أنتظركما .. أوحشتماني كثيرا ..

٢٠. "شهااااب"

- ريهام .. هل سامحتيني يا حبيبتي؟ .. كنت أريد أن أقول ..

أُنْني أَحبُّك .. الآن فقط أقولها

- "بابا انا انا" ..

.. لجين .. اقتربي مني يا نور عيني؟

تشير ملوحة لي بيدها وهي تبسم ..

لجین .. أوحشتني كثيرًا .. أنت فرحتي الوحيدة .. أنت أصدق

فرحة مرت بي في حياتي .. لقد ظلمتك كثيرًا يا لجين .. طالما

اشتقت إلى أن أجري معك

تجري أمام عيني لاهية في الصلاة .. تمد يدها إليّ .. أمدّها

إليها .. لكني .. لكني لا ألمسها .. تسقط يدي بجانبني ..

جسمي كله يهوي على الأرض .. أشعر أنهما يقتربان مني

أكثر .. وأكثر .. وأكثر .. و ..

هل .. هل فعلتها؟ .. هل قتلته؟ .. هل قتلت شهاب !!؟
لم أكن أقصد أبدًا !! .. لقد كنت فقط أريد أن .. أريد أن .. يا
إلهي !! .. ماذا فعلت؟ .. أنا؟ .. أقتل؟!!
جثته ممددة أمامي بلا حراك .. أمد إليه يدي .. أظنه سيمد يده
ويقوم .. أهزه فلا حراك .. لا أدري ماذا أفعل؟ .. هل حقًا
استطعت فعل ما لم أستطع فعله طوال عمري .. هل قاومت
نفسي ونجحت؟ .. كان نجاحي هو القتل؟
الدم يغرق جسده والأرض من تحته .. أرى قطرة دماء على
جسده فأفئق من ذهولي ..
من أين أتت هذه القطرة؟
أنظر إلى يدي .. جرح كبير لا أشعر به .. جرحت بالسكين
ولم أشعر
جرح؟!! ..
أتذكر اليد المجروحة الممدودة للقتيل ..
تلك اليد إذن .. لم تكن سوى يدي .. والقتيل .. لم يكن سواه
هو ..

والقاتل لم يكن .. سواي أنا ..
لاحت لي من بعيد على طرف النيش علبة الدواء .. جريت
نحوها .. أقرأ ما عليها بلهفة
"نقط للبرد"

لم يكن ينوي قتلي؟ ..
المكان يدور بي ..
تسقط العلبة من يدي .. أنظر إلى جثته .. صوت طرق شديد
على الباب ..

المكان يدور بي ..
أقع على الأرض .. أزحف بصعوبة تجاه حقنة السكر على
المنضدة .. أمسكها بوهن وأحاول أن أعطيها لنفسي ..
...

العرق ينزل على عيني فيحرقها رغم برودة المكان ..
يدي ترتعش .. تسقط الحقنة منها .. ويسقط جسمي كله على
الأرض ..

بئر عميقة ملقى في قاعها .. والمكان يظلم شيئاً فشيئاً ..
حبل مشنقة يتدلى أمامي واضحاً .. وشخص متدل منه لا أراه
من ظهره

صوت القاضي الذي سمعته يحكم على طارق:
"حكمت المحكمة حضورياً .. على المتهم نادر جمال لاشين
.. بالإعدام شنقاً"
يستدير الحبل ..
إنه .. أنا ..
أصرخ ..
أصرخ ..
أصرخ بكل قوتي .. فلا يسمعي أحد ..

(8)

الخامسة صباحا ..

صوت الكرسي الهزاز يبدو واضحًا

يجلس فوقه صاحب الحذاء .. يتوقف .. ينزل من عليه ..

يتحرك نحو الباب .. يخرج منه دون أن يفتح ..

يخفت صوت اهتزاز الكرسي شيئاً فشيئاً ..

■ ■ ■

يعلو صوت الكاسيت فجأة من غرفة النوم

■ ■ ■

رافضك يا زمانى .. يا أوانى .. يا مكااااااااانى ..

أنا عايز اعيش في كوكب تالالاني ..

■ ■ ■

فيه عالم ثاني .. فيه لسه أمانى ..

■ ■ ■

شهاب ملقى على الأرض .. وتبدو بوضوح رقبتة خالية من

السلسلة

فيه الإنسان .. لسه إنسان .. عايش للتأاني

■ ■ ■

عالم طیارا .. وریاحہ قویہ .. بٹھہ کیانی تکرر فیا ..

ربما لم يكن نادر يرى ما حدث بالماضي ..

وربما لم يكن يرى ما سيحدث بالمستقبل..

ربما كانت روح طارق هي من دبرت كل ذلك لتنتقم؟

ربما ..

من غير مواعيد .. بتاخذني بعيد ..

الشيء الوحيد المؤكد ..

أن أحدًا لن يتخيل أبدًا .. ما دار هذه الليلة .. في 7 ساعات

□ □

هنا .. في هذا المكان ..

عن معنی حیاتی .. عن اصلی وذاتی ..

وده ..مش بادیا ..

وده .. مش باديا ..

صوت الكرسي الهزاز يبدو واضحًا
يجلس فوقه صاحب الحذاء ..
يتوقف .. ينزل من عليه .. يتحرك
نحو الباب .. يخرج منه دون أن
ينفتح ..

يخفت صوت اهتزاز الكرسي شيئًا
فشيئًا ..